بصوته ولساني....
في تـــأبـين ممـــدوح عـــدوان

نزيه أبو عفش

.. وإذ بلغ المنعطفَ وأوشك يدخل في متاهة النسيان، أدار وجهه الي وراح يعدُ على أصابع يديه وأسنانه وقلبه.. كمن يعد حياة او يطمئن على ثروةٍ مدفونة تحت عتبة التابوت.
- ماذا تفعل ؟ / قلت
- أعد حصيلة حياتنا من الموتى.
- حصاد وفير....
بلى، وفير الى درجةٍ تجنن وتصعق .

ممدوح عدوان

ولكن ما يصعق العقل أكثر ان حصيلة شهداء الجمال والعدالة والاحلام تفوق ما حسبت وتوقعت.... طائفة أسلاف موتى، وئدوا في وسائد أحلامهم فلم يتوفر لنا الوقت لسند ارواحهم بلقمة امل او لقمة جمال.
وراح يعد: عبد السلام عيون السود/ عبد الباسط/دعد حداد/ جميل حتمل/ موريس قبق/ سعد الله ونوس/ فواز الساجر/ لؤي كيالي/ مصطفى الحلاج/ فواز عيد / سنية صالح/ سعيد حورانية/ رياض صالح الحسين/ سعيد مراد/ هاني الراهب/ محمد عمران / شريف شاكر/ عبد الرحمن منيف../ ولم لا أضيف صلحي الوادي!.. و ....
رجوته: توقف !
قال: .. ونسيت كثيرين. جيش من عاثري الحظوظ والاحلام، قتلتهم سموم الحبر وحماقة الامل وشهوات الجمال.
قلت: قتلهم الموت.
- لا ، بل قتلتهم الحياة. قتلتهم فاقة الكرامة، وفاقة الامل، وفاقة الحرية، وفاقة الجمال والعطف قتلهم عطش الانسان الى ما هو اثمن من لقمة الدابة وحياة الدابة. ماتوا مصعوقين بالسرطانات وذبحات القلب وذبحات الضمائر وذبحات اليأس...، اما في بلادكم طريقةٌ أشد رحمة يموت بها اهل الجمال والحبر كما يموت الناس والبهائم؟!..
ثم صرخ كمن ينتخب: إنها صحراء حياتكم، الصحراء التي تدعونها بيت الدابة.. وتدعوها الدابة وطن الانسان.
قلت: وما الذي يبكيك يا صاحبي ؟
قال: لا أبكي بل أواصل - من داخل الموت- ما أغفلته من صرخات حياتي.
- ما الذي يبكيك ؟
فانطلق يواصل العدَ على أسنانه وأصابعه: إذ كنا نوعدُ بوطن ينهض ويتأهب للحياة .. كان خفراء الوطن والحياة يخدعون. تسولنا أملاً فأهدونا اليأس، وحياةً فتصدقوا علينا بألف بابٍ مفتوح على الهاوية، وسألنا بيتَ رحمةٍ فأرشدونا الى طرقات المقابر...؛ وثابرنا على الأمل. جعلونا نهزم في معركة الحرب ونُذلُ في معركة السلام...؛ وثابرنا على الأمل.
اوهمونا اننا شركاء في لقمة الحياة ولقمة العدالة ولقمة الوطن، فيما هم يتنعمون بمذاق لحم الوطن ونحنِ نغص بقداسة فكرته: هكذا صحت القسمةُ واعتدل الميزان.
- لكن، ما الذي يبكيك ؟!..
- بطونهم متخمةٌ بما اقتنصوه من مزق أحلامنا، وجيوبنا مثقلة بأشلاء الأوراق والكوابيس والادوية العاجزة عن قهر التعاسة وترويض الألم وتأخير مواعيد الموت.
- ما الذي يبكيك؟
- حدثونا عن سماوات نظيفة وأرض نظيفة، فيما السماوات مثخنة بفولاذ الاعداء، والارض الموعودة بالسنابل والازهار تحولت الى جبانة لنفايات الذرة والكيمياء التي دفنت - لاجل سعادتنا- في سرير الحقل، وتحت لحاف الغيمة، وحيث يفترض ان يتدفق الينبوع....؛
النفايات التي بات من حقنا ان نسأل الان: الى أية درجة رفعت نسبة موتنا بالسرطانات والمهانة وداء اليأس.
ولكي يتنعموا بفائض الحياة، كان علينا ان ندفع كامل حياتنا ضريبة للموت.
إذ نقول (الحرية) يصادرون اللسان والقلم والاحلام وحق الصغير ، ويقذفون بنا الى شعاب لا توصل إلا إلى الجنون او الى المقابر. ذلك هو نصيبنا من رغيف الامل: نهمّش.. أو نجنّ .. أو نصير امواتاً.
وإذ نمضي حياتنا لاهثين خلف جرعة الحياة والكرامة والنور، يتقدمون الينا كقديسي عنابر الأيتام .. ويقولون: هيا، كلوا يا أيتام بلادكم. خذوا وكلوا. ثم نكتشف بعد فوات الأوان أننا لم نأكل الا حياتنا.. حياتنا التي أكلوها.
ثم قال: ثق، لست أؤبن حياتي ولا حياة أسلافي الموتى، بل أؤبن ثقافتنا الوطنية كلها. أؤبن آلة الحياة التي تتصدع وتنهار: مسرح، سينما، آداب وفنون وموسيقى، اتحادات ونقابات معوقين، اعلام وتعليم وجامعات- كتاتيب صبية- تتعثر وتهرم وتنحط. تستفحل الضَحالة، وأمية الجمال والعقل، والبؤس الروحي، وتتقهقر القيم التي عليها تنهض قلعة الحياة وتغتفر خطيئة الامل والمحزن يا صاحبي ان الذين قاموا بالاقصاء والتهميش هم الذين سيقومون فيما بعد - وتحت شعار الرأفة- بتعهدات دفن الموتى.
قلت: لكن يا صاحبي ، ها هم الآن يتوددون الينا بالازهار والضحكات ووعود الحياة.
قال: كن عاقلاً يا رجل!.. حين كنا نحلم بزهرة حياة صغيرة كانوا يضنون علينا بالشوكة وحبة الغبار وقلامة العشب. وحين نبلغ مشارف موتنا يُثقلون جثماناتنا بالمراثي ويذرفون على انقاضنا الدموع والحسرات وجثث الأزهار الفائضة عن الاعراس.
عشنا موتاً طويلاً، في بلاد لا تتصدق علينا بماء رحمتها إلا حين تكون أرجلنا قد صارت في قاع جهنم.
- لكن/قلتُ له / ما الذي نفعله نحن الشعراء غير ان نعبد دونما هوادة طريق موتنا، طريقنا السرية الى الحياة.. اقصد : الى النسيان !..
نحذف حياتنا من الجدول ، معزّين انفسنا بالقول: الشعراء يربحون بقدر ما يحسنون ادارة خسائرهم فيما الاخرون- هم الاخرون- يسهرون على ادارة ارباحهم المختلسة من لحم حياتنا. ندفع ضريبة حياة مسروقة فيما هم يتنصلون من دفع صدقاتهم الزهيدة على ما التهموه من كامل نصيبنا .
يتذكروننا في ولائم الموت، أو حين نستدعى الى (هناك) الى مراكز إعادة التأهيل الوطني لنبصم -مرغمين، وعلى مرأى من غياب الآلهة- على صكوك موثقة نعترف لهم فيها بأننا نحب أوطاننا... أوطاننا التي : (واسعة اكثر مما يلزم لقبر، وضيقة أكثر مما يليق ببلاد، ومبغضة في أحلام الموتى..).
ونعترف .. كأننا نحن من اخطأ.
ونعترف .. كأننا نحن من تنصل.
ونعترف ... :كأننا نحن من خذل وضيع .
وإذ لا يكون في سجلات أعمارنا ما يندم عليه من الهفوات والخطايا، سيكون بمقدورهم - متى شاؤوا - أن يتهمونا باغتصاب قاصر على سبيل المثال. وكن على ثقة يا صاحبي: لو حاولت ان تصرخ (انا بريء) سيجيؤونك بالقاصر منفوخة بهواء حملها، ويواجهوك بالقضاة والشهود مدججين بالادلة والبصمات وآثار الدم وعار الفضائح.
- لاتكمل !
- كانك ترتعش الان ؟! ..
- بل قل : تعب القلب من هول الحياة. تعب القلب والضمير والعقل والجسد الذي يخدع ويخذل ويخون . وها أنا أواصل طريق فراري الى الموت.
- خائف أنت ؟ ...
- ما عاد يخيفني شيء، أنا الذي خبرت خوف الحياة تقدمت أربعين يوماً في الموت، كمن يتقدم الى عرس تأخر خمسين سنة، وخمسين هزيمة، وخمسين وليمة ذل، وخمسين حلماً مذبوحاً في عراء اليأس.
- أخيراً قتلها: (اليأس) كأن لست انت من كان على مدى نصف قرن طويل من جلبة الهتاف، يعد بالمستقبل ويبشر بالامل ويجمل حلم الينبوع.
- المستقبل صار وراءكم وورائي. والينبوع الذي تحملونه ستموتون مختنقين بشهوة مائه... ستموتون على ظمأ.
- والامل يا صاحبي ؟!
قال: ما أبغض هذه الكلمة ! .. ألست انت يا نزيه ابو عفش من سبق ان قال: الامل يأس مقلوب ؟!..
.. ومرة ثانية أدار ظهره لي، متهيئاً لاقتحام ظلامه الأخير.
ثم مضى.. ومضى، متوهما أنه يتوغل في حديقة نور.
وحدي كنت أعرف أنه - الساعة - يبلغ آخر عتبة في بيت ظلامه الرحيم.
صرخت، عارفاً أنه ما عاد قادراً على التقاط صرختي: انتظر ! إنهم الان يتهيأون ليقدموا لنا الذبائح.
- قل لهم إذن: إذ كنا احياء كنا نفضل الرحمة على الذبيحة .. وزهرة الحب على أكاليل ورد التابوت.
وقل لهم .....
همست من خلف ظلامه: لا تكمل ! ..

من المفاهيم الصوفية في الرواية العربية

علاقة الصوفي بالوسيط أو الملهم

د. فاطمة بدر

تعدّ ظاهرة الطلق الروحي أو (المعارج المنامية الروحية) ظاهرة روحية، وتجربة صوفية عرفت في الإسلام وقد ادعى عدد من المتصوفة أنهم عرجوا إلى السماء برعاية الذات الإلهية المرشدة كما يطلق عليها في الفلسفة الصوفية الإسلامية، التي غالباً ما تتمثل بصوت ينبعث من الداخل، أو تتمثل بهيئة ما، وتجيب هذه الذات عن اسئلة الصوفية أو السالك موضحة له ما لايدركه، وتساعده على الاهتداء إلى الطريق السليم، وترافق هذه الذات الصوفي في بداية الرحلة، وأحياناً تأتي أخرى عند منتصف الرحلة لتساعده على اكمال ما تبقى من رحلته ؛ لأن الرحلة الصوفية وكما هو معروف تتضمن مجموعة من الأسفار، والسفر عندهم هو : ((بدء الكشف عن رؤيا صالحة تعد العبد لسلوك الطريق.. فهي توجهه من العالم إلى الذات، أو من الظاهر إلى الباطن، ومن التجزؤ إلى الوحدة)).
في الرواية العربية الحديثة يتجاوز البطل مفاهيم السلطة الأرضية، ليدور في مفاهيم غيبية علوية، وهو بهذا يتجاوز قدرته الطبيعية عند اتصاله بالعالم الآخر ؛ لينتصر على العجز الإنساني وهذا لايتم إلا بوجود وسيط يحتضنه، أو شيخ يستند إليه، أو قد يتحد البطل مع الشخصية الملهمة فيشعر بما تشعر به، ويدرك ما تدركه، وهو بهذا تصبح له القدرة على النفاذ إلى دواخل الشخصيات، والكشف عما يدور في ذهنها ؛ ليفر من جهامة الواقع، والعيش في ضرب من الخيال الصوفي السحري العجيب المغاير لعالمه، والدخول في عالم فنطازي لاينتمي إلى عالمنا، إنما ينتمي إلى عالم آخر يتحرر منه الإنسان من محدوديته الإنسانية وبذلك يتحول إلى كائن عجائبي له قدرات خارقة يغادر الأرض متى يشاء، ليقابل من يشاء، ثم يعود بعد ذلك وهكذا دواليك.
نعثر في رواية (سابع أيام الخلق) على بعض الإشارات الصوفية المصحوبة بخطابات صوفية تشير إلى علاقة الصوفي بالمرشد من خلال وصف المكتبات بالمقامات التي يرتقي إليها السالك عن طريق التصوف، أو من خلال الكشف الذي يحدث في مكتبة المتحف بواسطة ملهمة الكاتب (ورقاء) التي تدفعه إلى بحث مستمر.
يقول : ((يتلكأ قلمي لحظات قبل أن يخط على بياض هذه الصفحة اسم ورقاء فعلى الرغم من تعدد الخيوط التي قادتني إلى هذه الرواية، بقي ذلك الخيط الذي شدني إلى ورقاء أكثر انسجاماً من لحمة هذه الرواية وسداها، فالكتب وحدها قادتني إلى ورقاء)).
بعد ذلك يحصل له الكشف ويتحول إلى مريد يتلقى العلم على يد ورقاء، لذا تمده وتفتح عليه أبواب المعرفة وتكشف عنه حجاب الظلمة.
يقول : ((يحصل لي الكشف في مكتبة المتحف حيث رفعت ورقاء بحبها حجاب الظلمة عن قلبي فاطلعت على أسرار الرواق ومعانيه)).
ويبلغ الكشف أعلى درجات الكرامات عند مشاهدة العالم الملكوتي، وورود المعرفة على النفس مباشرة من الأعلى كما في رواية (عندما يسخن ظهر الحوت) كرؤية الراوي من وراء حجاب كثيف يقول : ((ينقل أمامي الحدث الذي يقع خلفي)) ويطلق على هذا النوع من المعرفة بـ(الغنوصية أو العرفانية) إذ يفنى الجسد ويغيب الوعي في نشوة من لحظات الغياب والتجلي، والتحليق في عالم الموجود واجب الوجود حيث عالم الملكوت، أو يتجاوز البطل قدرته الطبيعية بعد أن يتحد مع ملهمه أو شيخه كما في رواية (التجليات) إذ يحتضن البطل شخصية (الحسين بن علي) أو (ابن عربي) أو يتحد مع أبيه فيشعر بما يشعر به، ويدرك ما تدركه يقول : (أصغيت بأذني أبي، وبسمعه، وبقلبه الذي بدأ يدرك ويفهم)، ويطلق علم الباراسيكولوجي على هذه الخوارق بـ (المعايشات الصوفية) وهي حالات شبيهة بحالات (الغشية) وهي تفضي بطبيعة الحال إلى الإدراك الحسي الفائق المميز أولاً وإلى معرفة مباشرة بالقوانين والوظائف الاعتيادية للعالم العلوي ثانياً.
ويرى علماء النفس أن الرحلات الفضائية الوهمية هي عمليات لاواعية تنشأ من أوضاع سايكولوجية ضاغطة من أجل تحقيق الاستقرار النفسي، وحل التوتر الاجتماعي، والتنفيس عن مخاوف النفس، لتستعيد توازنها بعد معاناة وقلق فتشعر بالعظمة بعد أن تتجاوز الطبيعة وقوانينها كما في رواية (الخوف) إذ تبدأ رحلات الراوي إلى فضاء عشتار بصحبة مرشدته (سماء) لتبدأ رحلة الراوي الروحية الخارقة أثر خروج النفس عن عالمنا المادي المحسوس إلى عالم فوق طبيعي، وتكثر هذه الانفعالات أو القدرات فوق الطبيعية الخارقة غالباً في الليل.
يقول : ((بدأ من حيث صعدت إلى الفضاء، فقد كنت تلك الليلة نائماً في سريري عندما جاءني الصوت خافتاً يقول : انهض يا هذا المتكرر مثل الملح، مثل الثلج، انهض يا هذا المتدثر بالغربة.
قم وانفض عن دمك غبار الدهر
قم يا مرآة الشحوب إلى متى ستظل تفطر إلى أن تذوب.. اغمضت عيني والخوف يدثرني بالخوف، وجسدي ينزف برداً وعرقاً)).
يبدو ان ارتعاش الجسد من الخوف، ونزفه برداً وعرقاً من علامات الطلق الروحي، ويتحول هذا الصوت الخافت إلى واقع يؤمن به البطل بعد ان اقتربت منه سماء يقول : ((وضعت يدها على يدي، وقالت لاتخف جئت لآخذك إلى عالم السحر سترحل معي كل ليلة إلى عالم مدهش وبهي)).
يستعين هاشم غرايبة في روايته (المقامة الرملية) بالرحلات الأرضية، إذ تتضمن هذه الرواية رحلتان ارضيتان لبطل الرواية الخميس بن الأحوص الأولى: رحلة البحث عن أمه الثريا، والثانية رحلة الأخذ بالثار من عباس الرواج قاتل أبيه وسارق أمه، ويمكن أن نستعرض هاتين الرحلتين كالآتي :
في الرحلة الأولى يظهر الوسيط في البدء على شكل نداء غامض كأنه صوت الخميس بن الأحوص يقول : ((تسلل إلى داخلي صدى نداء غامض، عبر ظلام دامس.. كأنما هو صوت الخميس بن الأحوص يتردد داخلي منادياً :
امر كان.. وأمر يكون.. وأمر لايكون ابداً)).
يتحول بعد ذلك إلى هيئة الخميس بن الأحوص من دون صوته
يقول : ((انست صوتاً، رأيت الخميس بن الأحوص، بلا ملامح واضحة فصرخت — من أنت ؟
انتصب عمود من الرمل ما لبث أن اسفر عن رجل على هيئتي.. كأنما الرمل مرآة لكن صوته لم يكن صوتي)).
ثم يظهر المرافق على هيئة صنم اسمها اللاس، صنعها الخميس بن الأحوص من التبر الذي اعطته له امه وخلطها بالرمل وصيرها صنماً تشبه امه الثريا، يقول : (صيرته صنماً على شكل أمي الثريا فلألأ التمثال تحت ضوء القمر، وانتصب متباهياً بسمته الأنثوي فانبهر القوم وخروا راكعين، سألني أفصحهم.
ما اسمها قلت اللاس قال شيخهم ولماذا اللاس فطأطأت ولم أجد جواباً))، ويقول : ((صورة اللاس انست وحشتي فغفوت)).
يتماهى الخميس بن الأحوص مع اللاس ويصبح مأخوذاً بها.
يقول : ((اتجول في المكان، كأننا شخص واحد، صارت تعرفني على المكان وكأنه بيتها الذي تودعه)).
ويقول : ((أنا مأخوذ بجلال المكان مسحور بهيبة صاحب الزمان متسلم ومسلم قيادي للاس))، ويرافقه في هذه الرحلة جحشه (فدعوس) وسيفه (الفرق) أما في الرحلة الثانية فترافقه شخصيات حميمية له تأتي عند منتصف الرحلة تساعده على إكمال الرحلة وترشده في رحلته كأن يكون صوتاً شبيهاً بصوت شامخ الرملي، والمساعد الثاني يأتي صوت أمه الثريا، والصوت الثالث صوت شبيب يجلجل في الوادي ثم ونة أبيه، ولكن تبقى شخصية الاس توافقه حتى النهاية.
نكتشف من هذا كله أن المرشد أو الملهم الذي يحتضن الصوفي يكون في أغلب الأحيان شخصية معروفة في الميثولوجية مثلاً شخصية ورقاء التي تعنى حسب المصطلحات الصوفية بـ(النفس الكلية أو اللوح المحفوظ وقد أشار الركابي إلى ذلك في لقاء معه، واللاس تعني آلهة الحكمة في الميثولوجية اليونانية القديمة فضلاً عن شخصية الحسين بن علي (عليه السلام) البطل الشعبي في الميثولوجيا وشخصية ابن عربي.

قـــصـــة

ظـــلـــم

للكاتبة السوريناميةمونيك بول

ترجمة- عادل العامل

كانت وسط ذلك تماماً. كيف حصل هذا ؟ لماذا ؟
لم تكن لديها أية فكرة . لم تستطع ان تفكر ، فكل كيانها كان يحكمه انفعالٌ واحد.
الخوف.
سمعت أصواتاً، وكان الناس يهاجمهم الحرس، ناسها. ودنا منها احد الحرس، وقد رفع هراوته المطاطية. وفي اندفاعها للهرب، سقطت، وراحت تعدو وظهرها للاعلى.
ثم صار كل شيء في حركة بطيئة، وكأنها كانت قد أخذت تخطو خارجة من جسدها. ورأت الفتاة، ويدين تغطيان وجهها، وكان الجندي في لباسٍ أسود. لم يكن هنالك كليةٌ ما يمكن فعله لها.
راحت الهراوة تنزل بحركات لا اسرع منها. وكان الخوف ألماً الآن. وصار الألم اقوى مع كل ضربة وسقطت الى الجانب، برشاقة، كواحد يستلقي للراحة. كان طيباً ان تستلقي، وفجأةً أحست بأنها متعبةٌ جداً . وأشعرها الإسفلت بالدفء على نحوٍ مريح.
فأغمضت عينيها.
دقيقةً ؟ ساعةً ؟ يوماً ؟
لم تستطع ان تقرر، شعرت بنفسها ترفع وتُحمل بعيداً.
كان الوضع هادئاً في الشارع الآن. سمعت أصواتاً، تواسي، تخفف من الألم، ولم تستطع ان تعين من أين تأتي، أو من المقصود بذلك. وأخذوها الى مكانٍ ما في الداخل، وكان مظلماً هناك.
لم تكن وحيدة بتلك الحالة السيئة. فقد أحضروا آخرين ينزفون، يصرخون، ورجلاً كان صامتاً . صامتاً وبريئاً بعينين كليلتي الرؤية... وما كان أغرب، بأبتسامةٍ على شفتيه. مسالمة للغاية. اعتنوا بها، وستشفى العلامات الزرق، وعند الغد سيكون كل شيءٍ اعتيادياً. لكن ليس بالنسبة لهم. فالظالم لا يمكنه ان ينتصر.

❖ قصّت مونيك بول Monique Pool أغلب حياتها في أوروبا وهي تعرف نفسها بانها هندية غربية اوروبية. وقد ترجمت الكثير من الروسية والانجليزية الى الالمانية.

كتابان حول الاسلام
يثيران جدلا مع الازهر

اثار كتابان عن الاسلام اعدهما مركز ابن خلدون للدراسات بالتعاون مع معهد "شينكر" الاميركي جدلا مع الازهر، كما اكد المركز في بيان تلقته فرانس برس.
ويشكل الكتاب الاول "الاسلام والاصلاح" الصادر حصيلة ورشة عمل نظمها في تشرين الاول٢٠٠٤مركز ابن خلدون الذي يضم مجموعة من المفكرين المصريين الليبراليين برئاسة سعد الدين ابراهيم الاستاذ المحاضر في الجامعة الاميركية في القاهرة.
وشارك في ورشة العمل المصري جمال البنا، شقيق حسن البنا مؤسس جماعة الاخوان المسلمين، والتونسي رضوان المصمودي، والجنوب افريقي ابراهيم موسى، والايراني علي شريعتي والسوري محمد شحرور.
اما الكتاب الثاني وهو بعنوان "الاسلام والديموقراطية" فيضم مجموعة مقالات منشورة. ولم يصدر الكتاب بعد.
والهدف من الكتابين تقديم صورة جديدة عن الاسلام الى طلاب اميركيين.
وجاء في البيان ان "مركز ابن خلدون لا يحتاج الى تصريح من اية جهة لنشر هذين الكتابين، لان ما من احد يملك احتكار البحث باسم الاسلام والمركز لا يعترف برقيب على منشوراته سوى التزام العاملين فيه بالدقة العلمية واحترام ضميرهم المهني".
وكان سعد الدين ابراهيم قد سجن في سنة ٢٠٠٠بعد ادانته "بالاساءة الى صورة مصر في الخارج" وتم الافراج عنه بضغط من الولايات المتحدة.
ويتعرض سعد الدين ابراهيم بصورة متكررة لانتقادات في الصحف الحكومية المصرية لعلاقاته المفترضة مع جهات اجنبية.
وقال عبد المعطي بيومي، مقرر لجنة الشؤون الدينية في مجلس الشعب المصري وعميد كلية اصول الدين في جامعة الازهر "هذا تدخل في الشؤون الداخلية المصرية عبر المناهج التربوية الدينية لا يتماشى مع القانون الدولي ومخالف للعلاقات بين الدول".
واعتبر عبدالله النجار عضو المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية التابع للازهر انه يخشى ان "يحدث الكتابان رد فعل عنيف لان مؤلفيهما من المتشددين كما ان اتجاهات المركز علمانية".